١٠٣-الإنسان والعقل السليم

قال صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه": فالصواب أنها فطرة اللّه التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: {أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى} [الأعراف:١٧٢] وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة.
....من فلسفة المعتزلة أن الإنسان يملك عقلين ، عقل فطري ، وعقل مكتسب من الحياة . حيث يولد بعقل فطري خلقه الله له ، وهذا العقل فطري يميزبه بين الخير والشر ، ويعرف ربه وخالقه ، ويفرق بين الحق والبا طل ، ويقولون إن الإنسان يكتسب عقلا آخر في حياته ، فينمي مجموعة من المعارف والمهارات والخبرات من خلال دراسته ، ومجتمعه ومحيطه ويلعب الأبوان والأسرة والمجتمع دورا في تنمية هذا العقل . وفي هذا التوجيه يولد العقل الثاني وهو إما يساير وينمي عقل الفطرة ، فتزداد الخيرة في الإنسان ، وتزداد إنسانيته وشعوره بالخوف من الله ، فلا يخالف الله تعالى وقد هداه بعقل سليم . وهو يعرف الخير والشر ، والحق والباطل. والعدل والظلم ، ولكن ربما يغاير العقل الثاني الفطرة التي فطر بها ، ويتعرض لغسيل عقل وغرس مبادئ منافية لفطرته . فينمو في مبادئ وأخلاق تنافي كثيرا أو قليلا فطرة الله . فإما يعصي الله ويتوب ، وإما أن يسير وراء الباطل والظلم تستهويه ملذات الدنيا ، فلا يهمه إلا ربحه وخسارته وفائدته . لذلك يتفاوت الناس في تصرفاتهم ومواقفهم ، حسب أوامر عقلهم الثاني المكتسب ، فمنهم من اكتسب بعض التصرفات الخاطئة والمضرة بالآخرين ، وهو يعرف ويدرك أنها عادات ومبادئ وأعمال باطلة ، لايقرها الله ولا يقرها الرسول صلى الله عليه وسلم. ودافعه لذلك إما النفاق ، أو المصلحة الشخصية ، أوللكسب المادي ، أو الحصول على منصب وجاه ومكانة . فتجده لايتورع عن كل رذيلة وكل ناقصة ، يقتل ويبطش ويسرق وينهب ويرتكب كل المحرمات. تحت أوامر عقله المكتسب .من مدرسة الشر ، ومدرسة الإثم ، ومدرسة الظلم ، ومدرسة الباطل . وهؤلاء لاتجد في قلوبهم رحمة ، ولا إيمانا بالله ، ولاخوفا من حساب ، ولا ضميرا يبكي ، ولا قلبا يخشع . فلا يعرف أحدهم أبا ولا أخا ولا أما ولا قريبا ولا وطنا . كل همه تحقيق مصالحه .ويصبح أداة طيعة للسيد الذي يملكه فيوجهه حسب مايريد بالإشارة يفهم إرادة أسياده . يفعل لهم كل مايريدون. وفي بعض الأحيان يصحو ضميره ويؤنبه وتقرعه نفسه ، فيتمنى أن يعود إلى عقله السليم عقل الفطرة ، وأن يكون عبدا لله . وليس عبدا للشياطين فمنهم من يفلح ويتوب ويطلب رضا الله ، ومنهم من يكذب ، فعودته لغرض في نفسه وتنفيذ مآرب أسياده ، فلا يتوب حتى الممات ، ويعلل ذلك بأنه صاحب مبادئ وطنية . ولا يحيد عن مبادىء الشر . ومن المصيبة أنهم يتهمون أهل الحق ، والضعفاء وأهل الخير بأنهم شريرون ، يقلبون الحقائق والمفاهيم حسب مايريدون ، لقد غسلت أدمغتهم غسيلا لايمكن أن يعودوا لعقلهم السليم ، عقل الفطرة كما خلقه الله ، والعجيب أنهم يتعمدون أحيانا بغسيل عقول الأطفال والشباب في مدارسهم ومعاهدهم ، يتعبون أنفسهم عشرا ت السنين لغسيل عقول أجيال وأجيال ، وفي الأزمات رجعت هذه العقول إلى عقلها الرباني فكانت هي الشوكة التي وقفت بوجه أهل الضلال . فقد كانت هذه الأجيال التي ربوها ، هي التي عرفت الحق ووقفت ضد الظلم . فالإنسان بحسه السليم يدرك أن الله تعالى خلق له عقلا سليما يهديه في حياته ويبين له طرق الخير والفلاح في الحياة ، وحذره من طرق الشر والسوء والظلم .